10me Année No. 479

Lundi - 7 - 9 - 1942

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٤٧٩ « القاهرة فى يوم الإثنين ٢٦ شعبان سنة ١٣٦١ — الموافق ٧ سبتمبر سنة ١٩٤٢ » السنة العاشرة

الفهرس

كَـــرري ...

للأستاذ عباس محمود العقاد

وما كَرَرى ؟

شيء من الشرق أو من الغرب ، ويشار إليه بضمير المذكر أو ضمير المؤنث ، وقديم هو أم حديث ؟ كثير من الناس لا يعلمون ! وكان ينبغى أن يعلموا ولو بعض العلم ، لأنه شيء متصل بما نحن فيه ، وبما العالم كله فيه ، ولو بعض الاتصال

اسم كَرَرى متصل بتاريخ مصر والسودان فى العصر الحديث .

ومما لا شك فيه أنه على اتصال بالحرب العالمية الحاضرة فى جملة أسبابها البعيدة التى توارت الآن وراء أسبابها القريبة . فإن كانت للحرب العالمية الحاضرة ، وللحرب العالمية التى قبلها أسبابٌ لها عشرات السنين ، وأسبابٌ لها سنوات ، فاسم كَرَرى لا ينفصل من أسبابها الأولى أقل انفصال ؛ لأن علاقته بالأطوار الأوربية أواخر القرن الماضى كأوثق علاقة تكون .

كَرَرى كان له شأن فى تحول المآرب الاستعمارية عند كثير من الدول التى أثارت الحرب العالمية الماضية ، وعادت فأثارت الحرب العالمية الحاضرة

كان له شأن فى سياسة « بين القاهرة ورأس الرجاء » ، أو « بين القاهرة والكاب »

وكان له شأن فى اندفاع الألمان إلى القارة الأفريقية ، وفى موقف فرنسا من مراكش وأفريقية الشمالية ، وفى ظهور إيطاليا على شواطئ البحر الأبيض بعد شواطئ البحر الأحمر ، ثم فيما تلا ذلك فى تجدد الأحلام بالدولة الرومانية

ومتى اتصل شأن كررى بهذا ، فقد اتصل بجميع ما يخوض فيه العالم اليوم ، وكان له من قبل ذلك اتصال بمصر والسودان .

كررى هو الوادى الذى انهزمت عنده جيوش الخليفة عبد الله ، ودخل وادى النيل من جرائه فى تاريخ جديد ، ولك أن تقول : بل هو العالم كله قد دخل من جرائه فى طور جديد .

* * *

وقفتُ على ساحة « كَرَرى » فى مثل الوقت الذى جرت فيه وقعته الفاصلة

كانت زيارتى للوادى فى أوائل أغسطس ، وكانت الوقعة فى أوائل سبتمبر ، قبل أربع وأربعين سنة

فالمنظر الذى رأيته هو منظر الوادى يوم الوقعة بغير كبير اختلاف : هو النهار الضاحى ، وهى السحب التى تبشر وتنذر : تبشر بالمطر وتنذر بالصواعق ، وكانت وما يبالى بها أحد صبيحة يومه المشهود ، لأنهم كانوا يرجون ما هو أرجى من المطر ، ويرهبون ما هو أرهب من الصواعق ، ويستقبلون مشرقاً يعرفون ما يستقبلهم من مغربه إذا انتصروا ، وما يستقبلهم منه إذا انهزموا : مجد أو موت ، والفاصل بينهم وبين واحد منها بضع ساعات

وكم تصنع بضع ساعات فى تواريخ الأمم ؟

* * *

هناك التلال المتجهمات للشمس ، أعلاها لا يعلو فوق مائة متر فى الفضاء

وهناك الحجارة والحصباء ، أحدث أخبارها التى تتحدث بها إليك غضبة بركان قديم !

وهناك الأخدود الذى كانوا يتوارون فيه من المستطلعين فيواريهم ويخفى آثارهم ، لأن مطية الهواء لم تكن فى ذلك العهد مما يكشف ذلك الخلاء ، ولا أى خلاء

وهناك السكون ثم السكون ثم السكون . سكون اليوم ، وسكون أمس ، وسكون عام مضى ، وسكون أعوام ، ما عدا ذلك اليوم فى ذلك العام

ولو أنك سألت « كررى » ماذا صنعت يا كررى ؟ أو ماذا صُنع فيك ؟ فهم تراه يجيب ؟

أكبر الظن أنه يستعيدك السؤال مرات ! ما ذا صنعت ؟ ما ذا صنعت ؟ لا أدرى !

— لا بل صنعت كثيراً « يا كررى » . . . أفلا تذكر ؟ ألم يبق فى ذكراك غير هذا السكون ؟ ثم هذا السكون ، ثم هذا السكون ؟

— غضبة بركان قديم لم يغضب منذ آلاف السنين ؟ أتسألنى عن هذا وتلك آثاره تنبئك بغير سؤال ؟

— لا . بل غضبة بركان أقرب من ذاك جداً إلى ذاكرة من يذكر ، ولا أثر له فيك يغنى عن سؤال ! ألا تعرفه ؟ ألا تعرف تلك الحمم ؟ ألا تعرف تلك النيران ؟

— تلك براكينكم يا صاح تسألون عنها أنفسكم وتصلون منها بحممكم ونيرانكم ، وتحتفظون بآثارها وآثاركم ، وتسمونها الأسماء ، وإن هى إلا هواء يعبر بى كهذا الهواء

وكررى لا يقول غير هذا لسائله ، إذا قال

* * *

لكن « كررى » جماد مسكين لا يعلم إلا ما يعلمه الجماد المسكين ، ولم يدخل قط فى علم الجماد المسكين أن براكينه صرخة فى فضاء ما لم تتصل بهذا المخلوق الضئيل الذى هو نحن الآدميين ! وأين غضبة ذلك البركان الذى تنبئنا به حجارة كررى من براكين هذه الأيام ؟ وأين هو من معقبات ذلك اليوم الذى تقدم قبل أربعة وأربعين عاماً فى خلاء أم درمان ؟

ذلك بركان غضب ولم يعرف كيف يغضب . ذلك بركان حليم جد حليم . ذلك بركان يعرف نار الأرض ويعرف نار الصاعقة ولا يعرف النار التى يجمعها الإنسان فى أوعية صغار ، كل وعاء منها كأنه جبل من نار !

أو هو قد عرفها فمرت به كما يمر كل شيء بالجماد ، وبالإنسان الذى فيه قرابة من الجماد

* * *

وغمضة العين هنا هى أولى بالنظر من فتحها فى سطعة هذا الضياء ، فلن ترى إن فتحت عينك فى الوادى إلا يومك الذى أنت فيه ، وقد تغمضها فترى أعواماً وراء أعوام

وكأنى رأيت الوادى يموج بالعمائم البيض والطرابيش الحمر والقبعات الصفر والوجوه التى فيها من اختلاف الألوان كل ما فى العمائم والطرابيش والقبعات

وكأنى رأيت النصر يدور بين المعسكرين ، فلا يدنو حتى يبتعد ولا يبتعد حتى يدنو ، ولا يزال بين إقبال وإدبار ، وبين طلوع وأفول فى سحابة نهار

لقد كان فى الميدان جيشان من الماضى والحاضر ، ولم يكن به جيشان من عصر واحد . فحكم الزمن بمصير المعركة قبل أن يلتقى الجيشان

كانت الحضارة والمدفع الرشاش والأسطول الصغير فى أحد الجانبين

وكانت البداوة فى الجانب الذى يناضله ، وليس معها من سلاح غير الحراب أو راميات بالنار تشبه الحراب ، وكل أولئك من عمل الحضارة نفسها فى أوان فات

وقيل إن السيف الذى شهره المهدى كان سيفاً لبعض الفرسان التيوتون فى الحروب الصليبية عليه طابع شارل الخامس ثم انتقل إلى سلاطين دارفور ، وهو تاريخ فيه من الحق أكثر مما فيه من الأساطير

فهذا السيف كان رمز القوة التى اعتز بها الخليفة عبد الله ، فلم يزد عليه من العصر الحديث ما هو أقوى منه بكثير ، إلى جانب المدفع الرشاش

لقد حارب بعد زمانه بسبعمائة عام ، فأحرى ألا يصيب فى غده ما لم يصبه فى أمسه ، وهو إذ ذاك أمضى سلاح

وأما الشجاعة فلا شجاعة فوقها ، يتمناها لجيشه كل قائد فى كل قتال

وأما النظام فيخطئ من يحسبه لغواً فى جيش الدراويش لأنهم كانوا على نظام فى الحركة لا يخرج من زمام القيادة ، وإن كانت القيادة نفسها مضللة الزمام

وأما الحيلة فهى ليست فى ذلك الجيش بالقليلة ، بل لعلها كانت وشيكة أن تفلح فى يوم ما ، لو لم يتأخر الموعد ببعض القادة عن الهجوم فى حين الحاجة إليه

إنما كانت الغلبة لزمن على زمن ، ولغد على أمس ، وكل معركة فيها الغد والأمس قرنان متصاولان فالغد صاحب الغلبة فيها لا مراء

* * *

وكنت أقرأ عن حروب عمر بن الخطاب وأنا أطوف بين بيت الخليفة وكررى وأذكر هذا الصراع إلى جانب ذلك الصراع

أكان القدر هو الذى ساقنى فى تلك الفترة إلى كررى ، أم هو الذهن يشتغل بالشىء فى حين من الأحيان فيرد كل ما يراه وكل ما يسمع به إليه ؟

ليكن هذا أو ذاك . فقد علمت شيئاً من « كررى » وأنا أنظر فى حروب الفاروق مع دولتى الفرس والروم ، ولم أكن لأجمع بين العبرتين لولا أن وقفت بكررى وعرضت فتوح عمر وأنا واقف هناك

إن العقيدة لتظفر بما تريد وهى مع الغد على وفاق ، ولا تظفر بشىء ذى بال وهى مع الغد على عداء

ولم تكن العقيدة ناقصة فى جيش الخليفة عبد الله ، بل كان له حظ منها كأوفى الحظوظ ، وكان الرجل من الدراويش يهجم على النار بغير سلاح ولا يبالى الموت . فقصارى جزائه من هذه الشجاعة كان أن يموت

وكانت العقيدة زاد المسلمين فى جيوش عمر فشجعوا وظفروا وعاشت عقيدتهم بعد من ماتوا ، لأنها كانت عقيدة يحارب معها الغد وتجرى فى طريق التقدم ، فلا تتصارع العقيدة والغد إلا كان النصر للغد على العقيدة ، ولا يتفقان ويغلبهما غالب كائناً ما كان حظه من الجند والسلاح .

عباس محمود العقاد

منهاج الذاتية الأدبية

للدكتور زكي مبـــارك

صديقي ...

كتبت إليّ تسأل عن المراد من « الذاتية الأدبية » وهي كلمة يكثُر ورودها على سنان قلمي ، ثم تدعوني إلى رسم المنهاج ، إن كان لها منهاج

وأجيب بأن الذاتية الأدبية هي أن تكون أنت أنت فيما تكتب وفيما تقول ، بحيث يشعر من يقرأ لك ، أو يستمع إليك ، أنك تنقل عن قلبك وضميرك ، وأن لك خصائص ذاتية لا يزاحمك فيها سواك ، وأنك لو نشرت مقالاً بدون إمضاء لنمّ عليك الروح قبل أن ينم عليك الأسلوب ، فإن الأساليب قد تتشابه في كثير من الأحايين تشابهاً يسمح بإضافة آثار كاتب إلى كاتب ، أو شاعر إلى شاعر ، أو مؤلف إلى مؤلف ، عند طيّ الأسماء

أما التشابه في الأرواح فهو نادر الوجود ، ولعله لا يقع إلا عند ضعف الأرواح ، كما تتشابه الغرائز أو تتماثل عند صغار الطير والحيوان

ولتوضيح هذه النظرية أذكّرك بمعلقة امرئ القيس ومعلقة لبيد ، فمعلقة امرئ القيس يمكن أن تضاف إلى غيره من الشعراء ، ويمكن لأيّ شاعر أن ينظم مثلها بلا عناء ، أما معلقة لبيد فهي شعر لبيد ، ولن يحاكيه فيها شاعر ، ولو قضى العمر في رياضة النفس على الاقتداء

وبفهم هذه النظرية تتضح مشكلةٌ عجز عن حلها من تحدثوا عن المنحول من الشعر الجاهلي ، لأنهم يبنون أحكامهم على الأساليب لا على الأرواح ؛ فرقّة الأسلوب هي عندهم خصيصة حضرية ، وجزالة الأسلوب خصيصة بدوية ، وعلى هذا يقاس ، كما صنع سعادة الدكتور طه بك حسين

الروح هو الأصل في تقدير القِيَم الأدبية ، وعن الروح يتفرع الأسلوب . ولو شئت لقلت إن لكل كاتب أساليب تختلف باختلاف مقامات الإنشاء ، كما تختلف نظرات العيون باختلاف مقامات الحديث ، وكما تختلف نبرات الأصوات لمثل تلك الأسباب ، ثم يبقى الروح الذي يدل على صاحبه في جميع الحالات بلا استثناء

فانظر أين أنت من هذه الحدود : أينمّ عليك روحك ؟ أينمّ عليك أسلوبك ؟ أتنمّ عليك التبعيّة الذليلة في الروح والأسلوب لأحد الكتّاب أو أحد الشعراء

أنظر أين أنت ، فأنا أحب أن أعرفك بالروح قبل أن أعرفك بالأسلوب ، وافهمْ جيداً أنه لا قيمة لأديب بلا روح ، روح أصيل تعرفه بسيماه ، ولو أقبل عليك ملثّماً مع ألوف من الأرواح

هل قرأت سورة يوسف ؟

في تلك السورة الكريمة آيةٌ صريحة في أن يعقوب وجد ريح يوسف قبل أن يصل القميص ، وأنه شُفِي من عماه عند وصول القميص

فهل تفهم المراد من هذا الرمز الطريف ؟

هل تفهم كيف يدرك الأعمى أشياء بطريق لا سمع فيه ولا لمس ؟

هذا هو الروح الذي أحب أن تلتفت إليه في حياتك الأدبية ؛ الروح الذي يدل عليك من أول سطر ، أو من أول حرف ، قبل أن يرى القارئ اسمك في خاتمة مقالك ، فإن وصلت إلى هذا فأنت من أصحاب الذاتية

ولكن كيف تصل ؟

هنا يبدأ الحديث عن المنهاج :

يجب أولاً أن تحرر عقلك وقلبك وروحك من جميع الأوهام والأباطيل والأضاليل . ومعنى هذه الوصية أنه يجب أن تنظر في جميع الأشياء وجميع المعاني نظرة استقلالية منزهة عن الخضوع لنظرات من سبقوك ولو كانوا من أعاظم الرجال ، لأن الغرض هو أن تصبح روحك جارحة من الجوارح ، وهي لا تصير كذلك إلا إن عودتَها الفهم والإدراك بلا وسيط . وهل تكون الروح أقل قيمةً من الرِّجل ، يا بني آدم ، والرجل لا تمشي إلا إن عودناها المشي ؟

وإذا كان علم السباحة لا يُعرف بالوصف ، وإنما يُعرَف

بالتدريب على مغالبة المـاء فى أيام أو أسابيع ، فَعِلْمُ الروح لا يُدْرَك بالوصف ، وإنما يدرَك بتدريب الروح على التذوُّق والتفهم فى أعوام أو أزمان

أراد سابحٌ عبور النيل فغرق ، وأراد سابحٌ عبور المانش فنجح ، مع أن السابحين توأمان . فـكيف نجح هذا وغرق ذاك ؟

يرجع الفرق إلى اختلاف التمرن والتدريب . وما يقال فى القوة الجسمية يقال فى القوة الروحية . فعاودْ روحك بالتمرن والتدريب فى كل وقت ، واحفظها من الغفلة عن إدراك دقائق الفروق بين الأشياء والمعاني ، وعوِّدها التفـكير فى جميع ما ترى عيناك ، وما تسمع أذناك ، وما يهجس به الخاطر فى اليقظة أو فى النام ، فالنوم كلة سوقية وليس له مع حياة الروح وجود

إن عملت بهذه الوصية عاماً أو عامين ظفرت حتماً بالحاسة الذوقية ، وهى مفتاح الظفر بالذاتية الأدبية ، فتوكلْ على الله وابدأ من هذا اليوم

ويجب ثانياً أن توطِّن النفس على الغُـربة الأبدية ، ولو كنت فى دارك وبين أهلك ، فالمفـكرون فى جميع العصور غرباء

لن يكون لك ظهير غير قلمك ، ولن يكون لك نصير غير روحك ، فاعرف أين تضع قدمك قبل أن تخاطر بنفسك فتصحب رجال القلم البليغ

إن صُحبتنا متعبة ومضنية ومؤذية ، لأن طريقنا أشواك من تحتها أشواك ، وقد رحَّبنا بالظمأ والجوع ، وبما هو أفتك من الظمأ والجوع ، فى سبيل الذاتية الأدبية ، فانظر كيف تصنع إذا ضَـعُفتَ عن السير فى بداية الطريق ، أو فى منتصف الطريق ، طريق الموت أو الخلود

أنا أرحمك فأنهاك عن الاحتراق بنار الأدب ، وليتنى وجدت من ينهانى قبل أن أحترق !

إن صريع الأمواج يجد من يمدُّ له يد الإنقاذ والإغاثة ، أما صريع النيران فلا منقذ له ولا مغيث ، ونحن صرعى النيران لا الأمواج

إن اللصوص يتعاطفون فلا يشهد بعضهم على بعض ، ولا يكيد أحدهم لأخيه ، ولسنا لصوصاً حتى نعِـدك وَنمنِّيك ، وإنما نحن أدباء يكتب أحدنا لزميله صحيفة الاتهام ، بلا تورع ولا استحياء

إرجع قبل أن تحترق ، أيها الخاطب لما يسمّونه الأدب الرفيع

ولو أننى أملك الرجوع لرجعت ، فارجع أنت قبل أن يصعب عليك الرجوع ، وقبل أن تصير الاستنانة فوق ما تطيق

كان شيخنا العظيم « عبد الحميد بن يحيى الـكاتب » زوَّدنا بنصائح تحفظ كرامة رجال الأقلام ، فهـل سمعنا وأطعنا ؟ هيهات ثم هيهات !

لا يخدعنَّك السراب الخدَّاع فتتوهم أن احتراف الأدب أنفع من الاتجار بالتراب ، ولا تُـطع المضللين من أدعياء الأدب إلا إن ارتضيت إطاعة الشياطين

لقد نصحتُـك ونصحتك ثم نصحتك ، فإن رأيت أن هذا النصح لم يؤثِّـر فى نفسك ، ولم يصدَّك عن عزمك ، فأقبلْ ثم أقبلْ على الاحتراق بالحب المقدس ، لهب الأدب ، فنحن وحدَنا الأحياء ، ونحن وحدَنا الخالدون ، ولأعدائنا الموت والفناء !

إنَّ كلمةً تُـضَمُّ إلى كلمة فى ذكاء ولوذعية أشرف وأعظم وأنفع من كنوز تضاف إلى كنوز ؛ وإن جود الله بالفـكر والروح على من يصطفيهم من عباده ، لهو أطيب الهبات ، وأكرم الأرزاق

أقسمَ الله بالقلم ، ولم يُقسم بالمـال ، ونحن بالله مؤمنون !

هل رأيت الله تخـلَّى عن أديب سليم القلب قويّ الروح ؟

لقد خرج المتنبى هارباً من مصر فى ليلة عيد ، فـكم ألوفاً من الدنانير أنفقت مصر فى تعليم أبنائها حكمة المتنبى ؟

وقد مات محمد عبده بعلة أورثه إياها عقوق معاصريه ، فـكم ألوفاً من النفوس حاولت التشرف بأنها رأته قبل أن يموت ؟

وعانى مصطفى كامل الـكاتب والخطيب أشتات التهم الأوائم ، ثم كان من خصومه وحاسديه ومبغضيه من اشترك فى صنع التمثال

ومرَّتْ آلاف السنين ، والناس جميعاً يستوحشون من الليل ، فـكان غناء المصريين : يا ليل ... يا ليل ! !

صديق :

أتراني شرحت المراد من الذاتية الأدبية ، ثم رسمت لك المنهاج ؟

هذه ومضة من ومضات ، وسأرجع إلى إرشادك بالتفصيل ، حين أطمئن إلى أنك أحد الأوفياء بالعهود .

زكى مبارك

مهمة التعليم الجامعي

لمناسبة إنشاء جامعة فاروق الأول

للأستاذ عبد الله حسين

لعل من أمارات التوفيق أن يتاح لمصر إنشاء جامعة جديدة شاملة مختلف الكليات ، وهي جامعة فاروق الأول في الإسكندرية التي ستفتتح في العام الدراسي الجامعي القريب . فقد حقق هذا أمنية طالما جاشت في الصدور ؛ وسيكون من علائم التوفيق أيضاً أن يتاح لأبناء الصعيد جامعة في عاصمته « أسيوط » ، وأن تتوالى بعدئذ الجامعات ، فتصبح مصر موطناً صادقاً للثقافة في الشرق الأوسط ، وتستعيد مصر حضارتها العلمية القديمة ، حيث تخرج الأساتذة للعالم الشرقي العربي ، وإن شئت للعالم كله

غير أن إنشاء الجامعات لا يحقق وحده هذه الأماني ، متى كان الأمر مقصوراً على الصور والهيا كل والأشكال . كما أن إنشاء البرلمانات وإقامة الدساتير ذات المواد الكثيرة ، لا يحقق بذاته المعنى النيابي التمثيلي المنشود ، مهما تتألف هذه البرلمانات من مجالس الشيوخ والنواب ، بما تضمه من مكاتب ولجان ؛ ومهما يكن للنواب من الحق في تقديم الأسئلة وتوجيه الاستجوابات وحق طرح الثقة ، ما دام أن النواب لم يستطيعوا أو لا يستطيعون بالفعل ، لا بعمل الدستور ، أن يسقطوا الوزارات ؛ بل إن من الوزارات ما يستطيع أن يسقط المجالس النيابية ، ويلغي الدساتير ، ويستبيح كل ما حرمته

***

ليس من شك في أن كل أمة تشغل بالعرض عن الجوهر ، ويصرفها الشكل عن الموضوع — لن تظفر بما تبتغي من الأغراض ، إذ أن هذه الأغراض ستظل أمنية وخيالاً بديعاً وحلماً جذاباً

من أجل هذا ، نرجو أن يتاح لجامعة الإسكندرية ما لم تتحه الملابسات لجامعة القاهرة . فإن هذه الجامعة لا تزال جامعة شعبية أو في حقيقتها مجموعاً من المدارس العالية ، غايتها عقد امتحانات وتوزيع شهادات ، وانصراف حملتها بعدئذ إلى الوظيفة .

لم يتهيأ لجامعة القاهرة إلى اليوم أن ينصرف أساتذتها وطلبتها إلى البحث العلمي كغاية أولى للجامعة . ذلك أن نشأة الجامعة الأولى بمجمع المدارس العالية التي كانت قائمة يومئذ تحت اسم الجامعة ، والوقت السياسي ، والتيار الحزبي الذي قامت فيه الجامعة ، وفترة التحول من السيطرة الأجنبية على التعليم إلى الحكم التعليمي الوطني ، وتشبع الكثيرين من رجال الجامعة وطلبتها بالطموح السياسي ، والحفاوة بالأعمال الإدارية التي تطغى على القائمين بها لوناً من الجاه الحكومي ؛ كل هذا قد صرف الأذهان كثيراً عن التجرد للبحث العلمي دون سواه من الغايات المادية والسياسية

وحسبنا أن نشير إلى ذلك العدد الكبير من رجال الجامعة الذين غادروا مقاعد التدريس إلى مناصب الدولة الأخرى ، وتطلع من خلفوهم إلى هذه المناصب ذاتها

فإذا استطاعت الجامعة الوليدة ، جامعة الإسكندرية الجديدة ، أن تحقق المعنى الجامعي ، بأن يقف أساتذتها وطلبتها جهدهم على المساهمة في البحوث العلمية ، وأن يشاركوا في المجهود الذي تقوم به الجامعات الأخرى ، حققنا الغاية من إنشاء الجامعة ، على أن ندع لجامعة القاهرة مهمتها الشعبية من حيث تخريج حملة شهادات للتوظف ، تاركين للزمان أن يهيئ لها تحولاً صادقاً إلى المعنى الجامعي الحقيقي .

كان المعنى الجامعي متحققاً في الأزهر في أشد الأزمات التي نزلت به ، ذلك أنه كان هناك شيوخ وطلبة تجردوا عن المادة والجاه ، للعلم الأزهري ، يدرسونه في الأزهر والمسجد والدار وعلى قارعة الطريق وفي الأفراح والمآتم : كان الشيخ يتحدث إلى الناس في كل مكان جاعلاً علمه شائعاً لا يبغي من وراء ذلك جزاء أو شكراً . أما إذا كان شيوخ الأزهر لم يوفقوا يومئذ في المساهمة العامة للبحث العلمي الإنساني ، فإن مرجع هذا إلى الأحوال السياسية وفساد الحكم والحكام وعدم التشجيع .

فالتجرد للعلم والانصراف عن المادة أو توجيهها لخدمة البحث العلمي — هو العنصر الأولى للجامعة لكي لا تكون اسماً أو رمزاً لا يدل على حقيقة

تريد علماء لا تشغلهم بالتقليب ولا يشغلون أنفسهم بالدرجات والرتب والأوسمة واتخاذ التدريس وسيلة إلى الجاه الحكومي على صورة من الصور . علماء يحج الناس من مختلف البقاع للتشرف بالاستماع إليهم والمباهاة بلقائهم واتخاذ مؤلفاتهم مصابيح للاهتداء ومراجع للاقتداء

وعندي أن هذا سيكون ميسوراً لجامعة الإسكندرية أكثر من جامعة القاهرة ؛ ذلك أن القاهرة ، حيث تتجمع فيها أندية السياسة والصحافة والأحزاب والألقاب وألوان الجاه ، لن تفتأ تجذب إلى جاهها رجال الجامعة والتعليم . أما الإسكندرية فهي بمنجى من هذا الجاه . في الإسكندرية الهدوء والصفاء وزرقة السماء والماء — الأمر الذي ينشده العلماء ولا يجدونه في القاهرة الصاخبة المتقلبة الضخمة

فعلى رجال الدولة — والأمر كما أوضحنا — أن يهيئوا لجامعة الإسكندرية ذلك الجو الجامعي ، وتلك البيئة العلمية الحقة ، لكي تستعيد مفاخر جامعة الإسكندرية القديمة

عبد الله حبيب

مشاركة الأدب الانجليزي في الدراسات العربية

نقلا عن « برنارد لويس »

للأستاذ عبد الوهاب الأمين

٢ — بداية الاستشراق

لقد رأينا كيف ذهب العلماء الإنجليز في القرون الوسطى إلى أسبانيا وصقلية لتلقى العلوم من العرب ، وكيف نشروا ما اكتسبوه بعد عودتهم إلى انجلترا . وسنتطرق الآن إلى تطور جديد في الدراسات العربية ، وهو ظهور ما ينبغي أن يسمى أوائل المستشرقين بالمعنى الذي تؤديه كلمة الاستشراق في العصر الحاضر . فقد حدثت تغيرات كبيرة في خلال السنين التي مرت على الزمن الذي مرَّ بين الدور الذي درسناه في حديثنا السابق ، والدور الذي سنأتي إليه الآن . فتقدمت أوربا تقدماً ذا شأن في العلم والمعرفة ، وفقد العرب تفوقهم القديم ، ولم يعد من الضروري للدارسين من الأوربيين أن يتطلعوا إلى مدرسين من العرب ، ليتلقوا منهم العلوم العامة ، وأخذنا نشاهد نوعاً جديداً من الاستشراق ، وهو ذلك النوع الذي يعتبر أساً للاستشراق الحديث ؛ فقد أخذ الباحث الإنجليزي يدرس العربية لا لتحصيل ما يمكن أن يأخذه من العالم العربي من فلسفة وعلم ، بل من أجل الثقافة العربية نفسها . وللمرة الأولى شرع الإنجليز في دراسة اللغة العربية والآداب العربية دراسة جدية . وكان عملهم — كعمل المستشرقين المحدثين — ذا نفع للعرب بقدر نفعه للفرنك ، وهو ينطوي على جمع القواميس العربية والنحو والصرف ونشر المخطوطات العربية — قبل أن يتم طبعها في الشرق بزمن طويل — والبحث العلمي في تاريخ العرب وآدابهم ، وغير ذلك من مظاهر النشاط التي تدخل في هذا المضمار . وقد بدأت هذه الحركة في القرن السابع عشر ، وفي هذا القرن أُنشئ منصب أستاذية اللغة العربية في جامعتي اكسفورد وكامبردج ؛ وأخذ الأساتذة الإنجليز يدرسون اللغة العربية لعدد من المتشوقين لها من الطلاب ، وطبعت أوائل الكتب العربية في انجلترا . وعلينا أن نأتي بشيء من التفصيل لحياة بضعة أفراد من ذوي المشاركة في هذه الأعمال :

إن الرجل الذي يعرف بصورة عامة بأنه « أبو الدراسات العربية » في انجلترا هو « وليم بدويل » (١٥٦١ — ١٦٣٢) وله مقالة طريفة يؤكد فيها أهمية اللغة العربية وضرورة تعلمها ، وهو يصفها بكونها « لغة الدين الوحيدة ، واللغة الرئيسية للدبلوماسية والأعمال من الجزر السعيدة إلى بحار الصين » . وتكلم عن نفعها في الآداب والعلوم . ولقد كان لبدويل بعض الشهرة في عصره ، وعرف في جميع أوربا بأنه عالم بالعربية ، وكان أهم آثاره معجماً عربياً في سبعة مجلدات لم يطبع لسوء الحظ . وفي وسعنا أن نذكر بين كتبه بعض الأصول العربية التي طبعت في انجلترا ، وبعض الدراسات عن القرآن ، ومعجما للألفاظ العربية المستعملة في اللغات النزبية من العهد البيزنطي إلى عهده هو

وهناك شخصية أخرى هي شخصية « أدموند كاستل »

(١٦٠٦ — ١٦٨٥) وهو أحد أوائل أساتذة كامبردج فى اللغة العربية ، وقد كان الأثر الذى أفنى فيه حياته هو (قاموس اللغات السامية) ، استنفد تصنيفه منه ثمانية عشر عاماً ، وطبع لأول مرة فى سنة ١٦٦٩ . ويتكلم مؤلفه فى مقدمته عن « الإثنى عشرة عاماً التى انقضت فى العمل المستمر لما يزيد على ١٦ أو ١٨ ساعة فى اليوم — ونادراً ما قل عن هذا المقدار — من السهاد ، وضنى الجسم ، وضياع المـال » . وقد كان هذا القاموس — وهو الأول من نوعه — عظيم الأهمية وأعيد طبعه عدة مرات فى انجلترا وأوربا . ونذكر من جملة آثار كاستل الأخرى مجالة عن أهمية اللغة العربية ، وتعليقاً على ابن سينا ، ومجلد أشعار عربية مهدى إلى الملك شارلس الثانى ملك انجلترا

ومنهم « جون كريفس » (١٦٠٢ — ١٦٥٢) ، وهو أحد الرياضيين المشهورين . وكان وقتاً ما أستاذ علم الهيئة فى جامعة اكسفورد . وكان كثير الأسفار إلى الشرق الأدنى وعلى الأخص إلى مصر ، ودرس اللغة العربية والفارسية دراسة جدية ، واقتنى مجموعة كبيرة من المخطوطات العربية والفارسية ، والنقود والجواهر ، وطبع أجرومية صغيرة للغة الفارسية . وكان اهتمامه الرئيسى فى الناحية الرياضية من أدب المسلمين فنشر عدة نصوص ودراسات فى هذا الموضوع ، وكان أخوه « توماس كريفس » يعرف العربية أيضاً والفارسية ونشر بضع مقالات

ونذكر من جملة العلماء فى العربية الآخرين فى القرن السابع عشر « إبراهام ويلوك » وهو أول أستاذ للغة العربية فى جامعة كامبردج ؛ و « ساموئيل كلارك » صاحب مجالة فى القريض العربى ومفردات بعض أسماء الأماكن العربية ؛ و « بريان والتون » الذى طبع الإنجيل بعدة لغات شرقية ؛ و « دَدْلى لوفتس » وهو أحد علماء وفقهاء القانون الإرلندى . وقد لعب « جون سلدان » (١٥٨٤ — ١٦٥٤) ، السياسى القانونى دوراً مهماً فى الحياة الإنجليزية فى ذلك العهد ، وكان يعرف عدة لغات شرقية منها اللغة العربية فضلاً عن معلوماته الأخرى . وقد نقح ونشر بعض النصوص العربية التاريخية ، وترك وراءه مجموعة من المخطوطات الشرقية

ولقد كان أعظم العلماء بالعربية فى ذلك الحين بلا منازع هو « ادوارد بوكوك » (١٦٠٤ — ١٦٩١) الذى كان أول من شغل منصب أستاذ اللغة العربية فى جامعة أكسفورد ، وأول المستشرقين الأوربيين الذين قاموا بأعمال من الدرجة الأولى حقاً ؛ فقد بدأ بوكوك دراسته للغة العربية فى أوائل عمره ؛ وكان ولیم بدويل برعاه ، كما قام «ماثياس باسور» — وهو أحد النازحين من ألمانيا بسبب الاضطهاد — بتعليمه مدة من الزمن فى جامعة أكسفورد . وذهب فى سنة (١٦٣٠) إلى حلب حيث قضى هناك خمس سنوات أتقن فى خلالها اللغة العربية كتابة ولفظاً ، واقتنى مجموعة نفيسة من المخطوطات العربية جاء بها معه عند عودته إلى اكسفورد ، وبذلك أنقذها من التلف الذى كان من المحتمل أن يحل بها ، وأنشأ لنفسه صداقات مع كثير من الحلبيين وعلى رأسهم « الشيخ فتح الله » أحد العلماء الذين درس عليهم، وقد بقى صديقاً له مدى حياته .

وفى سنة ١٦٣٦ عند ما عاد بوكوك إلى انجلترا عين فى المنصب الذى أنشئ حديثاً للغة العربية فى أكسفورد ، حيث حاضر فى الأدب العربى وقواعد اللغة العربية ، وبدأ فصوله تلك بمحاضرة عن أهمية اللغة العربية والأدب العربى . وشرع فى سلسلة محاضرات يدرس فيها أقوال الإمام على .

وفى سنة ١٦٣٧ زار مصر للمرة الثانية بغية الحصول على معلومات جديدة ومخطوطات جديدة ، وقد عاد إلى أكسفورد فى سنة ١٦٤١ وخصص أيام حياته الأخيرة للعمل المنتج فى انجلترا ، وكان « جون كريفس » الرياضى قد صاحبه فى رحلته الثانية .

وفى خلال إقامته الطويلة فى أكسفورد — حيث كان يجلس فى ظل شجرة التين التى جاء بها معه من سوريا ، والتى لا تزال موجودة إلى الآن ، وهى أقدم شجرة من نوعها فى انجلترا — أخرج بوكوك عدداً كبيراً من الكتب المهمة نذكر منها ما يلى :

١ — « نموذج من تاريخ العرب » : وهو نصوص من تاريخ أبى الفرج ، مردفة بسلسلة من الدراسات المستفيضة عن النواحى المختلفة لتاريخ العرب ، وعلومهم ، وآدابهم ، ودينهم . وهذا الكتاب من أهم آثار المستشرقين ، وظل يحتل هذه المنزلة لدى العالم مدة طويلة . طبع فى أكسفورد سنة ١٦٤٩ وأعيد طبعه فى سنة ١٨٠٦

٢ — لامية العجم : وهى طبعة انتقادية لقصيدة الطغرائى الخالدة ، وقد أرفقت بترجمة وشروح وملاحظات ، وطبعت فى أكسفورد سنة ١٦٦١

٣ — المختصر فى تاريخ الدول : وهو النص الكامل لتاريخ أبى الفرج مع ترجمته .

لقد وسم « بوكوك » بحياته وآثاره دوراً من أدوار الدراسات الأوربية الشرقية بميسمه ، وكان ذا شهرة مستفيضة فى زمنه ، ويدين له جميع العلماء الذين خلفوه بدين كبير . وكان العلماء فى جميع أنحاء أوربا والشرق يكتبون إليه طالبين المعونة والإرشاد ، ويفد إليه العدد الكبير من الطلاب من البلاد القصية — كرومانيا مثلاً — إلى أكسفورد ، لدراسة اللغة العربية على يد أعظم أساتذتها الأحياء فى أوربا . ولقد وصفه قرينه فى معرفة اللغة العربية المستشرق الهولندى كوليوس أستاذ اللغة العربية فى جامعة ليدن نفسه بأنه « لا يدانيه أحد فى عالم الاستشراق » . وقد ترك زيادة على الكتب التى مر ذكرها عدداً من الدراسات الأخرى ومجموعة من (٤٢٠) مخطوطة اقتنتها بعد موته مكتبة أكسفورد ولا تزال هناك حتى الآن ، وهى تكون جناحاً ذا قيمة من القسم العربى من تلك المكتبة .

ولقد خلف ستة أبناء كان أكبرهم — واسمه إدوارد بوكوك أيضاً — (١٦٨٤ — ١٧٢٧) قد تابع خطة أبيه واعتنق الدراسات الشرقية ، وقام بطبع عدة كتب من ضمنها الطبعة التى لم تكمل لتاريخ مصر لعبد اللطيف ، وترجمة لإحدى خوالد ابن طفيل الفلسفية

وعلى ذلك كان القرن السابع عشر دور تطور عظيم فى تاريخ الدراسات العربية فى انجلترا . ويمكن إرجاع سبب الاهتمام الجديد بالدراسات الشرقية إلى عدة عوامل يأتى العامل اللاهوتى فى أولها ولا شك ، فقد كان من المفهوم فى ذلك الحين أن اللغتين العربية والعبرية متقاربتان كل التقارب . ومن المؤمل أن تؤدى دراسة اللغة العربية إلى إلقاء ضوء جديد على « العهد القديم » . وأوغل من ذلك فى الأهمية هو الإدراك الجديد لمنزلة اللغة العربية والتاريخ العربى من الوجهة الثقافية . ولقد شهد العصر المتقدم عهد إحياء جديد للدراسة على أوسع معانيها ؛ فشملت الاهتمام الجديد باللغات والدراسات الكلاسيكية ، وكان من الطبيعى أن يدرك طلاب التاريخ البشرى والمدنية أهمية اللغة العربية العظمى بين تواريخ الإنسان ، وأن يعملوا على طلب المزيد من معرفتها . وقد كتب كل من بدويل وكاستل وبوكوك جميعاً مقالات عن أهمية اللغة العربية بصورة عامة ، والحاجة إلى أن يدرسها رجال أكفاء .

وينبغى أن نذكر أخيراً العلاقات المستجدة فى التجارة والسياسة بين انجلترا والشرق الأدنى ، وما أطلقته من مصالح ومناسبات ، فبفضل تلك المناسبات أتيح لبوكوك أن يقوم برحلتيه المثمرتين إلى الشرق ، وكانت تلك المصالح متسعة الأرجاء ولم تقتصر على رئيس الأساقفة « لود » ولم يكن هو الوحيد الذى اهتم بنشر الدراسات العربية فى انجلترا ، والمتبرع بالكرسى الأدبى للغة العربية فى أكسفورد

وبالرغم من الاضطرابات التى أحدثتها الحرب الأهلية فى نهاية القرن السابع عشر ، فإن هذا العصر كان جديراً بالاعتبار ، فقد تألفت فيه مراكز للدراسات العربية فى أكسفورد وكامبردج ، وطبع عدد كبير من الكتب ، وأنشئ عالم جديد أنتج فيما تلا ذلك من العصور عدداً متتابعاً من الباحثين المشهورين الذين زادت آثارهم فى ثروة الميراث الثقافى لكل من العرب وأوربا ، وسنتكلم عنهم فيما يلى من هذه الفصول .

عبد الوهاب الأمين

ضرورة الإفصاح عن الرغائب

للأســـتاذ حسين الظريفى

كان مما تناولناه فى مقال لنا سابق عن الرغائب ، تلك القوة الديناميكية التى تتمتّع بها الرّغبة ، وتندفع إلى الظهور ؛ وما تلك القوة إلا وليدة ذلك الرباط الذى ترتبط به بالغريزة . والغريزة لا ريب تراث ذلك الماضى الطويل الذى يظل يتقهقر ويتقهقر حتى يتصل بأول الخليقة ؛ فليس مما يقع فى الإمكان أو يتصور فى الأذهان ، أن تبطل هذه الغرائز ، أو ينعدم ما تتمخض عنه من الرغائب ، ونحن لم نزل فى ظروف وبين وقائع إن لم تكن مثل تلك التى احتضنت الإنسان الأول فإنها لها مقاربة . وما كان لبشر أن يحيا مجرداً عن الرغائب ، وهى التى تشعره بوجوده وتدفع به فى طريق الأمل والعمل

والحقيقة التى يدور عليها مركز ثقل الموضوع فى هذا المقال ، هى أن الرغبة لا تخلو إما أن تكون تطوراً لغريزة ، أو عوضاً عنها . فنحن كنا نعيش بالغريزة العمياء ، حتى إذا أبعدت الحياة فى مراحل التقدم ، أخذت بعض الغرائز تستحيل إلى رغائب بحيث لا يبقى لها من أثر فيما استحالت إليه ، إلا ذلك المعنى الذى يدفع أو يمنع . ونحن إنما نطوّر الغريزة إلى رغبة ، أو نستبدل هذه بتلك ، بذلك العامل الفكرى الذى تمتع به الإنسان منذ عهده الأول فحدا به إلى التقليد تارة وإلى التجربة مرة أخرى ، حتى انتهى به المطاف فى مراحله الكثيرة إلى أن أصبح مجموعة رغائب بقدر ما كان مجموعة غرائز

وأخذت الرغبة عن أمها الغريزة ما لهـا من قوة وفتوة ، وأصبحت فى نفس الإنسان مظهر قلق من هذا ، وعامل إقدام أو إحجام من ذاك ، ولـكنها على كل حال تأبى إلا أن تُدرك ما لا يُترك ، وإلا بقيت فى النفس شغلاً شاغلاً أو علة دفينة .

فنحن لا يمكن أن نشعر بالسعادة ولو كانت محدودة فى النوع وفى الزمن ، ما دامت إحدى رغائبنا القوية لا تصل إلى ما تريد الوصول إليه . تلك هى العلة فى شكوى أكثرنا مما يقع لهم فى الحياة ، حتى تكاد تضيق بهم على رغم ما لها من سعة وما فيها من متعة . فتيار هذا الشعور إنما يرجع إلى مصدره فى أعماق النفس ولا شأن له مع الخارج

غير أن قضاء هذه الرغبة وحده لا يكفى فى إيجاد الشعور بالسعادة ، وإنما يجب أن يرى هذا القضاء على شكله النافع لمن قامت هى عنده ولغيره من الناس . فالرغبة فى ذاتها لا تمثل خيراً ولا شراً ، وإنما تضر أو تنفع بالقياس إلى طريق إشباعها من جوع وإروائها من ظمأ ؛ لذلك أمكن أن نتخذ من الرغبة مهما كان نوعها أو لونها ، عامل نصر فى معركة الحياة

إن فى طيات النفس ضروباً من الغرائز إحداهن غريزة المقاتلة ، غير أن هذه الغريزة لم تَعُد تفصح عن نفسها فى أوساط الحضارة وفى أغلب الأحيان ، كما كان يفصح عنها الإنسان الأول فى بيئته المتأخرة وإدراكه المحدود ؛ فبعد أن كان الأوائل من أهل القرون الموغلة فى القدم لا يكتفون فى إشباع هذه الغريزة بغير القتل والتمثيل ، أصبح لنا من وازع الضمير ومن قوة القانون ما يحول دون الإفصاح عن هـذه الغريزة بلغتها الأولى ، فقد تثور فى داخلنا الرغبة فى القضاء على الخصم ، إلا أن مانعاً يقيمه الضمير ، أو رهبة تبعثها العقوبة ، أو هذه وذاك مجتمعين ، يحولان دون تلبية تلك الرغبة الأولية بذلك اللسان القديم ، فنختار طريقاً آخر فى تأمين حاجة النفس إلى إيذاء العدو ، فنتعقب عيوبه ونعلنها للملأ أو نريه أنّا له مهملون

إن من طبيعة الغريزة أنها لا تظهر إلا بما هى فيه وعليه من غير تلون أو مراوغة . ذلك لأنها خلو من التبصر والتدبر ، فلا تعرف معنى لاختيار الأصلح فى الهدف وطريقة الوصول

إليه . ثم هى لا تقيم وزناً لقوة الظروف وماهية الوقائع ، وإنما تتجه إلى الغاية فى ذات الطريقة . لا تتلفت ولا تتكلف . ولكن بظهور حياة التمدن وتقيُّد هذه الحياة بآداب الوسط الجديد وبأحكامه الآمرة أو الزاجرة ، وجد المرء نفسه بحاجة إلى تعديل ما فى بعض غرائزه الفطرية وإلى الاستعاضة عن بعضها الآخر بما دعوناه بالرغائب . وكانت هذه التطورات والتغيرات المتلاحقة على الغريزة أثراً لتلك المراحل الطويلة التى قطعها الإنسان فى سبيل التقدم ، وصدى لذلك الصوت العميق المنبعث من أعماق الضمير

يتضح من كل ما تقرر أن الخلق ليس إلا مظهراً لرغبة تقيم فى العقل ، ما أعلن منه وما أبطن ، فإذا نحن أردنا استبدال خلق بآخر أو إجراء تعديل فيه ، فلا مندوحة لنا عن التعرف بتلك الرغبة التى صدر عنها ذلك الخلق ، ومن ثم إشباعها بصورة حميدة تقضى على كل شذوذ فى السلوك . أما إذا نُظر إلى الُخلق وحده ، وأهملت الرغبة التي تكمن وراءه ، فإن كل مسعى فى إصلاحه يذهب سدى

وأفضل ما يضرب به المثال في هذا المجال ، ذلك الباعث الأول والدافع الأصيل فى النفس وأعنى به (الغريزة الجنسية) فإن إشباعها وإرواءها مما لا مفر منه ولا محيص عنه . فإذا اصطدمت هذه الغريزة بما حال دون الإفصاح عنها ، واضطرها إلى التوارى من مجرى الشعور إلى ما وراءه — أبت وهي فى قاع النفس إلا أن تضطرب وتلتهب وترسل فى وسطها المظلم تيارات خفية من الأوامر والنواهى ، تظهر على المصاب عند تلبيتها بمظاهر الشذوذ

فنحن نبدو عاجزين عن معالجة العليل إذا فصلنا الشذوذ عن الرغبة الغريزية التى تحيط به وتغذّيه ؛ فالإصلاح يجب ألا يتناول الخلق ذاته ، وإنما يجب أن يتجاوزه إلى ما وراءه من بواعث خفية هى ولية الأمر فى كل شذوذ عن المجموع ، وفى كل ظاهرة تمر ، وأخرى قد تصل إلى مرتبة الجنون ، أو تؤدى إلى ارتكاب الجريمة

وقد ظهر أن هذه الغريزة قد تستنفد طاقتها وتستفرغ وسعها فى صور شتى هى خلاف اجتماع الذكر بالأنثى ، كالانصراف إلى الرياضة ، والاشتغال بالفنون الجميلة ؛ فإذا نحن عرفنا مصدر الشذوذ فى الخلق وأرجعناه إلى ظمأ هذه الغريزة ، كان فى مكنتنا تسوية هذا الشذوذ بإزالة ذلك الظمأ . . . تلك هى الطريقة الصحيحة فى تقويم ما اعوج وبناء ما انهدم من جوانب أخلاقنا واتجاهاتنا وأهدافنا فى الحياة . والأمر أهون مما يُظن متى كُشف عن دخيلة النفس ، واستجيبت دعوة تلك الرغبة بما يرفع عنها الضغط ويعلو بها من القاع

حسين الظريفي

التصوير عند العرب

كتاب المرحوم أحمد تيمور باشا

للأستـــاذ صلاح الدين المنجد

كان أحمد باشا تيمور ، أمّة فى النبل والعلم والأخلاق ؛ وركناً من أركان العربية فى الشرق ؛ وكان نقّابة بحّاثة متتبعاً . ما طرق موضوعاً إلا محّص وحقّق وجلّى ، وما ألّف إلا جمع وأطارف واستقصى . ثم مضى ، يرحمه الله ، وخلّف ما يدل على سعة اطلاع ، وغزارة علم وَفرة مطالعة . وما خزانته النادرة إلا دليل فضله وآية غزارته وعلمه

كان ، رحمه الله ، إذا ألّف أتى بما يعجز الكثيرون من المتتبعين والمحققين والجامعين عن إدراكه وجمعه . ولقد ترك لنا كثيراً من التواليف النوادر الحسان ، منها كتاب « التصوير عند العرب » هذا . ولقد عنيت فى الأيام الخوالى بهذا الموضوع ، فلم أعرف أحداً بلغ فيه ، من دقة الاستقصاء ، وجودة الانتقاء ، وندرة المنتخب ، وحسن التبويب والترتيب ، ما بلغه العلامة المؤلف . فقد جعله على خمسة عشر باباً ؛ فساق ما جمعه عن التصوير على الثياب والستور ، والأقداح والأوانى ، والمصابيح والسلاح ، والنقود ، والشارات والبنود ، والكتب والصحف والألواح . ثم بحث فى التماثيل ، منذ أيام الجاهلية إلى عصور التأخرين الثابتة منها والمتحركة ، الصامتة والمصوّتة ، وتماثيل الصبيان ، وتماثيل الزهر ، والحلوى ؛ وختم الكتاب بفصل نادر ذى شأن عن المصورين العرب

وقد خص الدكتور زكى محمد حسن هذا الكتاب الثمين بعنايته ، فرد نصوص الكتاب إلى أصولها وصفحاتها ، وألحق به تعليقات وشروحاً وتفصيلات بلغ فى بعضها الذروة من حيث التحقيق والتمحيص وجمال البحث ، ككلامه على التصوير عند المسلمين

وقد بدت لى ، أثناء مطالعتى هذا الكتاب ، ملاحظات من مآخذ وإضافات أردت نشرها تباعاً فى هذه المجلة الغراء

١ — ساق المؤلف خبر بساط أم المستعين الذى صُوّرت عليه صورة كل حيوان ص ٢٩ ؛ فقال الأستاذ زكى محمد حسن فى التعليقة ذات الرقم (١٣٦) : لم نقف على المرجع الذى أخذ هذا الخبر منه . وقد وجدنا نحن هذا الخبر فى كتب شتى ؛ كعيون التواريخ (مخطوطة المكتبة الظاهرية بدمشق) وكالمستطرف فى كل فن مستظرف . فقد جاء فى المستطرف ، وهو لا يختلف عما ذكره ابن شاكر فى عيون التواريخ ما يلى : « قال أحمد بن حمدون النديم : عملت أم المستعين بساطاً على صورة كل حيوان من جميع الأجناس ، وصورة كل طائر من ذهب ، وأعينها يواقيتُ وجواهر »

ويُستدل من تتمة الخبر أن بعض هذه الصور كان تماثيل ، وربما كانت كلها تماثيل . . . فقد جاء بعد ذلك « . . . وأنفقت عليه مائة ألف ألف دينار وثلاثين ألف دينار ، وسألته أن يقف عليه ، وينظر إليه ، فكسل ذلك اليوم عن رؤيته . قال ابن حمدون : فقال (يعنى المستعين) لى ولأترجة الهاشمى إذهبا فانظرا إليه . وكان معنا الحاجب ، فمضينا ورأيناه ؛ فوالله ما رأينا فى الدنيا شيئاً أحسن منه ، ولا شيئاً حسناً إلا وقد عمل . فمدت يدى إلى غزال من ذهب عيناه ياقوتتان ، فوضعته فى كمى . ثم جئناه فوصفنا له حسن ما رأينا . فقال أترجة الهاشمى يا أمير المؤمنين إنه قد سَرق منه شيئاً ، وغمز على كمى . فأريته الغزال . فقال بحياتى عليكما ارجعا فخذا ما أحببتما . فمضينا ، فلأنا أكمامنا وأقبيتنا ، وأقبلنا نمشى كالحبالى فلما رآنا ضحك ضحكاً وَسُر سروراً عظيماً . . . » (١)

(١) انظر المستطرف (ج ١ ص ١٥٠)

٣ — نقل المؤلف عن النويرى وصف قصر المتوكل « البرج » فقال :

« وكان فيه صور عظيمة من الذهب والفضة ، وبركة عظيمة غشى ظاهرها وباطنها بصفائح الفضة وجعل عليها شجرة من ذهب فيها طيور تصفر سمّاها طوبى ... »

قلت : وفى كتاب الديارات للشابشتى الذى فرغت من تحقيقه تتمة للوصف لهـا علاقة بالبحث . قال الشابشتى : « وعُمل له سرير من الذهب كبير ، عليه صورتا سبعين عظيمين ، ودرج عليها صور السباع والنسور وغير ذلك مما يوصف به سرير سليمان ابن داود عليه السلام . وجعل حيطان القصر من داخل وخارج ملبسة بالفسيفساء والرخام المذهب » (١)

أضف إلى ما ذكره المؤلف فى باب التصوير على الجدران ما يلى :

« وقد وُجد على جدران قصر الحير الغربى (وهو القصر الذى كان لهشام بن عبد الملك ، وا كتشف أخيراً فى بادية الشام بين تدمر والقريتين ، ونقل إلى دمشق ، وأعيد تركيب أجزائه)

أقول : وجدوا على جدرانه وأرضه كثيراً من الصور والزخارف الملونة ؛ من أعظمها ما عُثر عليه داخل غرفتين فيه ، رُصِّفتْ أرضهما بالجص المصوَّر . تمثل الأولى سماوة امرأة تحمل بين ذراعيها سلّة فيها ثمـار ، وقد التف حول عنقها ثعبان ، وفوقها صورة (قنطورسين) بهيئة رَجُلين نصفهما الأسفل ثعبان له مخالب سبع . ورسم فى أرض الغرفة الثانية مرزبان على جواده يطارد غزلاناً يرميها بالسهام . وصورة قينتين ، الأولى تنفخ بزمار ، والثانية تضرب بزهب الخشب على عود ذى خمسة أوتار . وحجم هـذه الصورة يعادل حجم الإنسان ويزيد عنه فى بعضها ، وهى متقنة الصنع ، زاهية الألوان ، ساذجة الخطوط طبيعية الحركات » (١)

٤ — أضف إلى ما ورد فى باب التماثيل ما يلى :

« ومما وُجد على قصر الحير المنوه به فى الفقرة السابقة ، تمثال امرأتين كانتا فى مدخل القصر إحداهما جالسة ، والثانية مستلقية على ظهرها تشبه صنعتهما التماثيل التدمرية المعروفة . وكأنهما نقلتا عن صورة الجاريتين اللتين مر بهما أوس بن ثعلبة فاستحسنهما وأنشد فيهما :

فتـاتىْ أهلُ تدمر خبِّرانى ألمَّا تسأما طول القيام
قيامكما على غير الحشايا على جبل أصمَّ من الرُّخام (٢)

٥ — أضف إلى الباب نفسه (التماثيل) ما ذكره البيرونى فى الجماهر (طبع كرنكو حيدر آباد الدكنى (« أن زبيدة اشترت لعبد الله بن الخلوع قضيباً من زمرد قدر ذراع بأربعة وثمانين ألف دينار ، ليلعب به يوم إعذاره . وكان على رأسه طائر من ياقوت أحمر وعيناه من الجوهر » (٣)

٦ — ذكر المؤلف نقلاً عن طبقات الشافعية للسبكى ص٨٦ أن أبا على الروذبارى اشترى أحمالاً من السكر ، فصُنع له منه جدار عليه شرفات »

قلت : وفى ربيع الأبرار للزمخشري خلاف هذا ، قال : « اشترى رجل أحمالاً من السكر ، وأمر باتخاذ مسجد من السكر

(١) انظر « الديارات » للشابشتى — دير السوسى . مخطوطة المجمع العلمى العربى الفوتوغرافية . وانظر أيضاً : « عيون التواريخ لابن شاكر » فقد ساق صاحبه هذا الخبر على نحو مما ذكرت

(١) انظر مقالا ذا شأن عن قصر الحير الغربى هذا ، للأمير جعفر الحسنى مديردار الآثار السورية ، فى المجمع العلمى العربى — المجلد الثالث عشر ، الجزء الثامن ، آب سنة ١٩٤١ ص ٣٤٠

(٢) انظر مقالة الأمير جعفر الحسنى المذكورة فى الفقرة السابقة وارجع إن شئت تفصيلاً إلى :

Sulumberger. Les fouilles de Qaçr el Heir el Gharbi. Syria T. xx P. 195

(٣) انظر مقالنا عن جواهر الخلفاء العباسيين فى مجلة المجمع العلمى . المجلد السادس عشر ، الجزء الثانى عشر ، سنة ١٩٤١ ص ٥٠٨

ذى شُرَف ومحاريب وأعمدة منقوشة . ثم دعا الفقراء فهدموه ونهبوه »[١]

٧ — وثمة خبر آخر عثرت عليه يدخل في هذا الباب . قال صاحب ذيل زهر الآداب عند كلامه على وليمة العباس بن الحسين ابن . . . لأحمد بن بويه « واصطنع فى البستان الأعظم على البركة التى يجتمع بفنائها دجلة والفرات ، قصراً مبنياً من السكر على أربع طبقات ، بأبواب تدور به ، وأبواب تغلق عليها ، من فوقها طبقة فطبقة ، تطلع من تلك الأبواب صور من السكر على هيئة الجوارى والنلمان ، بصنوف الملاهى ، فى أحسن الملابس والحلل ؛ وجعل على شرفاتها وطبقاتها وحناياها صور أنواع الطير والحيوان والوحش . وجعل من ورائها رجالاً تنفخ بالبوقات والمزامير ، كل صنف يخرج منه صوت يليق بصورته ، وكل ذلك من السكر المموه بصنوف الأصباغ والنقوش والذهب »[٢]

٨ — أضف إلى باب التماثيل ، ما ذكره التنوخى فى نشوار المحاضرة ، وهو يدل على أنهم كانوا يصنعون تماثيل على هيئة الفاكهة . قال من قصة طويلة يصعب تلخيصها « . . . وأدخلنا إلى فازة لطيفة من ديباج (وهى مظلّة كبيرة تمد بعمود على قول الجوهرى ، أو بعمودين على قول الفيروزابادى) ؛ وفيها صندل محلاة بفضة ؛ فيها دُسُت ديباج وحُصُر طبرية . ونحو ثلاثين طاولة مسبكة بالذهب كلها ، عليها تماثيل العنبر على هيئة الأترج والبطيخ والدستبو . . . »[٣]

٩ — أضف إلى ماذكره المؤلف الفاضل عن تماثيل الأندلس ص ٧٠ ما قاله ابن حمديس أيضاً فى تماثيل أسود على أبواب دار بناها المنصور بن أعلى الناس :

وإذا الولائد فتّحت أبوابه ... جعلت ترحّب بالعفاة صريرا
عضّت على حلقاتهن ضراغم ... فغرت بها أفواهها تكبيرا

فهو يصف حلقات الأبواب ، وكانت مصنوعة بحيث تعض عليها تماثيل أسود فاتحة أفواهها كأنها تكبر الله[١]

١٠ — أضف إلى باب التصوير على الجدران . . . ما يروونه عن أعمدة جامع قرطبة . قال المقرى صاحب النفح عند كلامه على جامع قرطبة نقلاً عن صاحب نشق الأزهار : « وفيه ثلاثة أعمدة من رخام أحمر ، مكتوب على الواحد اسم محمد ، وعلى الآخر صورة عصا موسى ، وأهل الكهف ، وعلى الثالث صورة غراب نوح عليه السلام » وإن كان المقرى يشك فى ذلك

* * *

هذا ما رأيت إضافته إلى ما ساقه العلامة المرحوم تيمور باشا أما ما أخذته على الدكتور محمد حسن فى تعليقاته فسيأتى

(دمشق) **صلاح الدين المنجد**

---

(١) انظر ربيع الأبرار للزمخشرى ، مخطوطة المكتبة الظاهرية بدمشق ، وانظر أيضاً مطالع البدور ج ٢ ص ٨٠

(٢) انظر جمع الجواهر فى الملح والنوادر للحصرى . طبعة الخانجى ص ٢٧٦

(٣) أنظر نشوار المحاضرة ـ الجزء الثامن ـ مطبوعات المجمع العلمى العربى بدمشق ١٩٣٠

(١) انظر نفح الطيب ، الجزء الرابع ص ١٨٤ طبعة الرفاعى
انظر الأبيات التى قالها أيضاً فى صور دار بناها المعتمد على الله — المصدر السابق
انظر ماقاله الوزير الجزيرى فى وصف مجلس للمنصور ابن أبى عامر (بركة وأسود) نفح الطيب ج ٤ ص ٢٨٦
(انظر أبيات أمية بن عبد العزيز الأندلسى ، فى وصف قصر يسمى منزل العز فيه تماثيل فرسان ووحوش وطير جو . . . النفح ج ٤ ص ١٩٨

من الأدب التركي

الدرويش العازف

للأستاذ محمد يوسف المحجوب

في غروبِ الشمسِ ، في الأفقِ البعيدْ
رَبوةٌ لاحتْ لعينِ الناظرِ
مَن تُرى يمشي لها المَشيَ الوئيدْ ؟
يا لَهُ تحتَ الدجى من عابرِ

صاعدًا ... في كفِّهِ قيثارُهُ يملأُ الآفاقَ باللحنِ الحنُونْ
مفردًا ... قد عافهُ سُمّارُهُ ورماهُ الناسُ طرًّا بالجنُونْ

يا لَشيخٍ هدّلتْ من شعرِهِ فوقَ فوديهِ أفاعيلُ السنينْ
الليالي قوّستْ من ظهرِهِ والعوادي غضّنتْ منهُ الجبينْ

يتراءى كلَّ يومٍ في الأصيلْ
في المروجِ الخضرِ ... في الوادي الخصيبْ
يصعدُ الربوةَ للكوخِ الضئيلْ
حيثُ يأوي عندَ ما يأتي الغروبْ

سارَ يشدو لحنَهُ الحلوَ البديعْ وتبعتُ الخطوَ كالظلِّ النحيلْ
والمروجُ الخضرُ تُصغي والقطيعْ
والدجى نشوانُ بالعزفِ الجميلْ ...

وبدا الكوخُ ... فولّى نجاةً واختفى فيهِ ، وغطّاهُ الظلامْ
وسمعتُ اللحنَ يسري خافتًا كأنينٍ من فؤادٍ مستهامْ
كانَ صوتًا هادئًا يُبكي القلوبْ صِيغَ من بؤسِ الليالي والدموعْ
رحتُ أُصغي ، وهوَ يشدو في لغوبْ
يسكبُ الألحانَ من ذوبِ الضلوعْ :

« يا حُطامَ المُنى في الظلامِ الرهيبْ »
« جئتُ أشدو هنا فاستمعْ للغريبْ »

« في يدي قيثارةٌ من ذهبْ
حطّمتها كفُّ دنياكَ الخئونْ »
« لمْ أجدْ في الدهرِ مَن يحفلُ بي
قد رموني — لهفَ نفسي — بالجنونْ »

« في يميني عازفٌ يُمتعُني رغمَ ما يلقاهُ من فعلِ الليالْ »
« لا أرى في الناسِ من يسمعُني
حينَ أشدو ، فاسمعي لي يا جبالْ » :

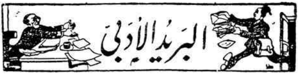
« يا طيورَ الرُّبا يا عيونَ الزهَرْ »
« يا نسيمَ الصَّبا يا غصونَ الشجرْ »

« إسمعي عنّي أغاريدَ الحياةْ إسمعيها قبلما ألقى المنونْ »
« إسمعيها فهي للوادي شذاهْ وارمِسي عنها نفاثاتِ الشجونْ »

« فوقَ هذي الأرضِ ألفا شاعرِ لفظُهُم زيفٌ ونجواهُم هواءْ »
« هل لهم لحنٌ كلحني الساحرِ وأنا المجنونُ منبوذُ العراءْ ؟ » :

« معشرٌ تاجُهُم فوقَهُم زائفُ »
« بينَنا برقُهُم خُلَّبٌ خاطفُ »

« معشرٌ : إن يكتبوا بالقلمِ فأنا الشادي بأوتارِ الفؤادْ »
« هل لهم أن يخلقوا للنغمِ
من هواءِ الكونِ ، أو دنيا الجمادْ ؟ »
« هل لهم أن يخضعوا مثلي القطيعْ
عندَ ما يمشي بلا راعٍ يصونْ ؟ »
« أينَ صوتُ الخلقِ من صوتِ الضلوعْ ؟
أينَ رجعُ القولِ من شدوِ الغصونْ ؟ »



مسابقة كتب الدين للمدارس الابتدائية

إلى الأستاذ « قاف »

كتبت فى عدد الثقافة الأخير كلمة عن المسابقة التى أذاعتها وزارة المعارف بشأن كتاب فى الدين للمدارس الابتدائية . وقد قرأت كلمتك هـذه بعجب وإعجاب . أما العجب فمن أنك تنعى على الوزارة اليوم ما كنت تتمناه عليها بالأمس ؛ فلعلك تذكر — وما أظنك إلا ذاكراً — مجلسنا فى أحد النوادى العلمية منذ قريب ، وما كنا نتناوله فيه من أحاديث شتى أسلمتنا إلى تقرير الكتب وكيف كانت تقرر لا لجودتها ولا لرسوخ قدم مؤلفها فى مادتها بل لجاهه ونفوذه حتى احتكرها أصحاب الجاه والنفوذ وصارت وقفاً أهلياً عليهم — على حد تعبيرك — لا ينال إلا لكبار موظفى الديوان العام ومن إليهم من المراقبين والمفتشين الأوائل ؛ ولعلك لم تنس كذلك ما قلته أنت فى تلك الليلة — بل ما كتبته فى الثقافة منذ شهر أو يزيد قليلاً من أن أولئك المؤلفين الكبار أو كبار المؤلفين لم يكن لهم فى الحق والواقع من التأليف إلا تشريف الكتاب باسمهم ومد اليد لتناول نصيبهم والوقوف فى الميدان لمطاردة من تحدثه نفسه باقتحامه واتخاذ كل وسيلة شريفة وغير شريفة لإقصائه . لقد كنا سبعة نتعاور الكلام فى هذا الموضوع وكنت — أنت — أصرحنا كلاماً وأبسطنا لساناً وأغزرنا استشهاداً حتى لقد ضربت بنفسك المثل وذكرت أنه قد طلب إليك أن تكون جندياً مجهولاً يصرع فى الميدان ليرتفع القائد على أشلائه ، فتأبيت على المريد . كل هذا عجيب ، وأعجب منه أن تقترح على الوزارة فى كلمتك الأخيرة ترك المدارس والمدرسين أحراراً فى التأليف وفى اختيار ما يشاءون من الكتب لتلاميذهم . يا لله ! أى حرية أوفى من أن تدعو الوزارة رجالها جميعاً للتبارى وتكافئ السباقين فيهم ولا تجعل الأمر احتكاراً أو وقفاً أهلياً على جماعة منهم ؟ وأى حرية أسمى من أن تسوى فى هـذا الميدان بين المتسابقين جميعاً ولا تنظر إليهم من حيث الجاه والنصب ، وإنما تنظر إليهم من حيث البراعة والمقدرة والكفاية ، وبهذا ترد إلى رجال التعليم اعتبارهم العلمى وتشجعهم على الإنتاج وتبث فيهم روح الإقدام على التأليف الذى يهابونه لذاته أو للمحتكرين له ! على أن للمسابقة فضلاً آخر أرشدت إليه المسابقات الماضية هى أنها تكشف عن بعض الأفذاذ المجلين الذين يعملون فى وزارات أخرى غير وزارة المعارف ، فليست الكفاية والبراعة والقدرة وقفاً على هذه الوزارة

« يا بقايا المُنى حولَ كوخي الصغيرْ »
« أنصتي ... إننا قد حُرِمنا السميرْ »

« أنصتي لي ، واسمعيني يا جبالْ واخفقي الألحانَ عنّي يا نجومْ »
« إنّ قيثاري فريدٌ فى الليالْ وهو فى يمناي سُلوانُ الهمومْ »

« كلُّ ما فى الأرضِ مِلكي : من هواءْ
أو جمادٍ ، أو دموعٍ ، أو زهورْ »
« سوف أشدو ، فإذا حلَّ القضاءْ
لم أفكر أين تطويني القبورْ ... ؟ »

... وانتهى العازفُ من ألحانِهِ وتلاشى الصوتُ فى جوفِ الفضاءْ
وانطوتْ روحي على أحزانِهِ وبكتْ عيني له دمعَ الوفاءْ !

يا لَشادٍ لفَّهُ هذا الظلامْ
ليتَ شِعري : كيفَ يحظى بالرُّقادْ ؟!
أتراهُ ذائقاً طيبَ المنامْ ؟
أم سيقضي الليلَ موصولَ السُّهادْ ؟

أيها العازفُ فى الكوخِ الضئيلْ :
أنتَ أسمى مُلهَمٍ فى ذا الوجودْ
كيفَ تأسى — أيها الشادي الجميلْ —
ونصيبُ الفذِّ فى الناسِ الجحودْ ؟

عِشْ على الدنيا كما شاء الصفاءْ واصطبرْ إن رُحتَ تُرمى بالجنونْ
مَن يَسَعْ فى قلبِهِ هذا الفضاءْ لم يُنقِّصْ عيشَهُ الدهرُ الخئونْ

الحق أنه ليس لمنصف نزيه حصيف الرأى أن ينقد هذه الطريقة المثلى العادلة التى تقضى على القالة والقيل وتسد الطريق أمام الريب والشكوك. على أن الوزارة لم تلجأ إليها إلا بعد دراسة وبحوث وعقد لجان واستشارة مجربين فانتهى الأمر بهم جميعاً إليها

وأما ما يقوله الأستاذ « قاف » من ترك المدارس والمدرسين أحراراً فى اختيار ما يشاءون من الكتب لتلاميذهم فحسبى فى الرد عليه أن أردد له ما كان يقوله تلك الليلة من أنه جريمة رسمية تفسد الخلق والعلم، وأن المدارس والمدرسين — بالرغم من تحريمه ومحاربة الوزارة إياه محاربة لا هوادة فيها ولا لين — كانوا يتخذونه وسيلة دنيئة تقرب إلى ذوى الجاه من المؤلفين الرسميين وهؤلاء يستغلونه استغلالاً وضيعاً تأباه كرائم النفوس، فقضت على هذه المفاسد كلها طريقة المسابقات. ذلك عجبى. أما إعجابى فبقدرة الإنسان — وهو الذى حارت البرية فيه — على الدفاع عن رأيين متناقضين يدلى بأحدهما وهو يعمل فى المدارس، وبالآخر وهو يعمل فى الديوان حيث اختيار الأعضاء للجان التأليف.

« ع »

استدراكات لغوية

فى تصحيحات العلامة المحقق الأب الكرملى للجزء الثانى من كتاب الإمتاع والمؤانسة مواضع تحتاج إلى بيان، أعرض على الأب الفاضل منها موضعين فى العدد (٤٧٥) من الرسالة الغراء:

١ — قال: وفى ص ١١٠ ويجعلها (أى الأحجار) ملساء، وضبطت كحمراء؛ والصواب مُلساً بضم الميم... (راجع فساد قول القائل صخور ملساء فى مجلة المجمع العلمى العربى ١٧ : ٢٣٣ و ٢٣٤) ا هـ

وقد رجعنا إلى الموضع المذكور فلم نجد للأب مستنداً فى إنكاره، لأن نص سيبويه قاصر على بيان أن جمع التكسير لأفعل فعلاء هو فعل بضم العين، وما أظن أن كيفية تكسير هذه الصيغة كانت محل خلاف، وليس فيها شاهد على خطأ قولهم صخور ملساء.

وإنما كان الأب بحاجة إلى نص صريح يستثنى فيه هذه الصيغة من القاعدة العامة التى جرى عليها كلام العرب وذكرها النحاة وهى: أن نعت جمع التكسير يكون بالمفرد المؤنث وبالجمع على السواء، فلك أن تقول: أشهر محرمة وأشهر محرمات، و « أياماً معدودة » و « أياماً معدودات » كما فى القرآن الكريم وغيره. فما الذى يفرد صيغة واحدة بين جميع صيغ النعت بحكم خاص؟ هذا ما يحوج الأب الإبراء عليه. أما استقراؤه الشخصى وطلبه من مخالفه الإتيان بشاهد فلا يردان حجة، لأن المقيس لا يلزم له شاهد.

٢ — وقال: ومن الأغلاط الشائعة فى مصر وتستحق أن يشار إليها إشارة خصوصية ما يأتى: ص ٢٣ س ١٨ أصواب هو أم خطأ... أم خطاء وزان سحاب لضد الصواب، على ما فى كتب اللغة. ا هـ

وقد كتب الجملة الأولى بخط عريض مذيل بخط أفقى زيادة فى لفت الأنظار. ولم يبين أى كتب اللغة هذه التى حرمت أن يقال خطأ لضد الصواب؛ وقد تصفحت بعض كتب اللغة فإذا هى تتفق جميعاً على أن الأب الفضال مخطئ كل المخطئ فى ذلك، وإليك الشواهد:

فى لسان العرب: الخطأ والخطاء ضد الصواب

تاج العروس: الخطاء والخطأ والخطأ ضد الصواب

المصباح المنير: والخطأ مهموز بفتحتين ضد الصواب، ويقصر ويمد

الصحاح: الخطأ نقيض الصواب وقد يمد... الخ

فأنت ترى أن الخطأ قدمت على الخطاء فى جميع هذه النقول، وأن أعلى هذه المصادر وهو الصحاح ضعّف الحرف الذى ذكر الأب أنه هو الصواب دون غيره.

هذا ما أحببت عرضه على العلامة المحقق الفضال، وله إعجابى وتحيتى.

(دمشق) سعيد الأفغانى

فى الشعر التمثيلى

تعقيباً على ما نشر بالرسالة فى عدديها ٤٧٣ و ٤٧٧ للأستاذين الأديبين البشبيشى وعبد الرحمن عيسى — لا جدال فى أن واضع الحجر الأول فى بناء الرواية الشعرية فى الأدب العربى الحديث هو المرحوم الشيخ خليل اليازجى فى روايته (المروءة والوفاء) وقد طبعت أكثر من مرة بمطبعة المعارف بالفجالة. ومن حق الأدب والتاريخ أن يعرف المتتبعون لهذه الناحية الجليلة من الفن الأدبى أن المرحوم الشيخ نجيب الحداد أول من ترسم خطى خاله المرحوم الشيخ خليل فى معالجته الشعر التمثيلى قبل المرحومين شوق

وعبد المطلب فى روايته (صدق الوداد) وقد طبعت من زهاء ثلاثين عاماً فى مطبعة غرزوزى بالإسكندرية وقل أن يظفر أحد بنسخة منها الآن لكثرة ما كان من الإقبال عليها ونفادها بمجرد ظهورها . والروايتان لا تقلان عن روايات المرحوم أمير الشعراء بلاغة وروعة وحسن سبك ، وشعرهما يتدفق سلاسة وطبعاً وعذوبة

ولعلى أوفق فى فرصة أخرى إلى نشر شواهد من شعر الروايتين إذا اتسعت له صفحات « الرسالة » الغراء وآنست من قرائها الأدباء ترقباً وارتياحاً

يوسف كركور

تعقيب

جاء فى بريد « الرسالة » الأدبى من العدد الـ (٤٧٦) للأب الفاضل أنستاس الكرملى فى بحث السوبية ما نصه : قال ابن دريد فى الجمهرة : « وبالصاد (أى الحِمِص) أحسبها لغة لبنى تميم ، وهى لغة ابن الغبر خاصة » كذا فى تاج العروس . وهو خطأ أيضاً والصواب : « وهى لغة بنى العنبر ، إذ لا وجود لابن الغبر » اه

وقد يقال : عدم الجزم بهذه التخطئة أولى ، فبنو الغُبَّر لهم وجود . جاء فى القاموس المحيط فى (فصل الطاء وباب اللام) : وككتاب (أى طحال) كلب وع لبنى الغبر . راجع القاموس المحيط ففيه شاهد لا يليق ذكره

(اللد — فلسطين) **داود حمدان**

حوائج

رداً على الكاتبة الفاضلة « بثينة » أقول إن هذه الكلمة « حوائج » وردت فى الحديث الصحيح والشعر الفصيح . فقد روى عن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه أنه قال : « إن لله عباداً خلقهم لحوائج الناس يفزع الناس إليهم فى حوائجهم أولئك الآمنون يوم القيامة » . وقال الشماخ :

تقطع بيننا الحاجات إلا حوائج يعتسفن مع الجرى

وقال الفرزدق :

ولى ببلاد السند عند أميرها حوائج جمات وعندى ثوابها

ابراهيم السعيد عجلوت

على هامش السيرة

لفت نظرى وأنا أقرأ الجزء الثانى من كتاب « على هامش السيرة » للمرة الثالثة عبارة وردت فى الحديث عن « رأى الغنم » ص ١٥٨ هذا نصها : « والغريب أن الخواطر التى كانت تملأ نفسيهما — يعني أبا طالب وخديجة — همًّا وحزناً وتفعم قلبيهما خوفاً وقلقاً ، هى بعينها تلك الخواطر التى كانت تملأ نفس عبد المطلب بن هاشم وآمنة بنت وهب ، وتشغل قلبيهما منذ ستة عشر عاماً حين سافر عبد الله مع العير إلى الشام فى التجارة لأول مرة ولآخر مرة أيضاً »

وهذا القول يناقض الحقيقة ويتعارض مع عبارة أخرى وردت فى ص ١٦١ وفيها يقول الدكتور : « ولكنه — يعنى أبا طالب — كان يستحىْ أن تقول قريش : ضعف أبو طالب وجزع على فتى قد بلغ الخامسة والعشرين من عمره »

والمعلوم أن رحلة عبد الله كانت بعد زواجه بأيام وكان محمد عليه السلام لا يزال جنيناً فى بطن أمه ، فى حين أن الرسول صلوات الله عليه كان قد أوفى على الخامسة والعشرين أو كاد يوم أن رغبت إليه خديجة فى أن يصحب تجارتها إلى الشام . وإذن تكون الفترة بين رحلة عبد الله ورحلة محمد عليه السلام حوالى خمسة وعشرين عاماً لا ستة عشر كما ذكر الدكتور ، ولعله يكون أقرب إلى الصواب لو أنه قال ستة وعشرين عاماً وذلك ما تكاد تجمع عليه كتب السيرة

عوض الدحة

استدراك

فى الحلقة السابقة من ترجمة كتاب « المصريون المحدثون » ، وقع تحريف فى الآية الكريمة : « قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، إن الله يغفر الذنوب جميعاً ، إنه هو الغفور الرحيم » . فوجب نشرها صحيحة

عدلى طاهر نور



الشيخ الأعزب

للأديب لبيب السعيد

في صدر أيامه لم بطاوعه طموحه على الزواج من ابنة عمه ؛ بدا له يومئذ أنه خليقٌ بالفرار من بيئته إلى بيئة أعلى وأقدر .

ولما قيل له : بنت فلان أشهر تاجر في الحي مهذبة وجميلة ، رأى أن آماله أسمى أيضاً من هذه البنت وأبيها ، ورأى قُدْرته أجدرَ أن تُنيله نسباً أجلّ ...

وأحسَّ أن آمال كثيرات من صبايا الحيّ وذويهنّ تترامى إليه ، لأنه موظف في الحكومة بخمسة عشر جنيهاً ، والموظفون المماثلون من أبناء الحيّ آحاد ، فزهاه ذلك وسرَّه ، ولكنه ظل على طموحه وعلى اعتقاده في إمكان إحراز زوجة غنية جدًّا من أسرة بارزة جدًّا ، يتسامى بها في الوظيفة ، ويوارى في غناها حقره ، ويجبر بجاه أبيها وذويها صدعه ...

كان يأمل في زواج الغنية ذات الجاه دنيا سعيدة : دنيا خالها يرف عليها الروح والريحان ، وتنتثر على مدارجها الزهور الضواحك

ومضت من عمره أربعون سنة ...

وعرف عندئذ الهدف الذي ينبغي له — فيما يعتقد — الرمى إليه ... عرف « حنيفة » بنت « أمجد باشا » ، فعرف فتنةً ضلَّ في تيهها فكره ... لقد رأى زواجه منها معراجاً إلى كل الغنى والشرف ، وحلم سريعاً في قهر أعدائه من الأقارب وزملاء الديوان ، ومواجهتهم بأنساب يشرّفون ، واستحضر في خاطره ما سيلقى من سعادة حين يذكر اسمه إلى جانب اسم « أمجد باشا » وود من كل قلبه لو تمت الخِطبة حالاً ، ونُشر اسمه واسم الباشا معاً ولو في إعلان وفاة !

وترقرق في صدره الأمل ، فأذاع بالأمر لبعض خاصّته ، وشاع لوضوحه ذكر .

ولكن « أمجد باشا » استمهل معتذراً ، ثم ماطله غير مكترث ، ثم ترامي عنه أنه يأبى هذا الزواج ، لأن « أميناً » ليس من طبقته ، ولأنه لم يستوف طَلِبَةَ فتاته من الغنى والمنزلة والوسامة .

وصدم هذا الرفض «أميناً» ، ولكنه رأى أن لا بد من عدم التخاذل ، وعزم ليستأسرن من أيِّ معقل مَن تعادل « حنيفة » نشباً ونسباً . ولكن — واخيبتاه — إن سنه الصاعدة ، ورواتبه المتواضع خيَّبا مطمحه وأعجزاه عن منيته

واليوم — وما أسرع كرَّ الغداة ومرَّ العشى ! — ذرَّف أمين على الخامسة والخمسين ، فهو يطامن كثيراً من جماح آماله ، ويتطلع راضياً إلى الأسر التي على شاكلته ، ولكن مرضه الظاهر يصرف عنه النظر ، وهو بعْدُ غاد قريباً على أمر شديد كربه : المعاش !

كل شيء يشعر أميناً أنَّ الأيام تقف به على ثنية الوداع ، ولكنه مع ذلك متشبث بالأمل ... إنه ينشد زوجة تخلص له الحبَّ ، وتأسو الجراحات ، وإنَّ طيف هذه الزوجة المجهولة ليُراوحه ويغاديه ! لقد نهل في سنى عمره الذاهب من كل شيء ولكنه يشكو الأوام ... فهو يريد لقلبه الكسير قلباً يروى من رحمته ؛ يريد مثابة ينفض لديها شكاياته ونجواه ؛ يريد لنفسه المنَّاة تسلية وتأسية وولاء ... إنَّ به حنيناً مبرِّحاً إلى جناح يكنفه في شيخوخته ، ولكنَّ الحقيقة الممضة : حقيقة صحته التي تحيَّف منها السنُّ والمرض ، حقيقة معاشه المحدود الذي لا يكفل العيش الرافع لعروس تُساق إلى شيخ ، وطفل سينشاه اليتم في مطالع حياته . هـذه الحقيقة كانت تدفع ذلك الطيف في عنف ، وتؤكد لأمين أن أمانيه فوق ما يجوز له تمنيه ، وأنه يحاول العَدْوَ وراء فائت ليس يُلْحق

* * *

ويرى «أمين» رجلاً وزوجته يسيران في طريق ، أو يجلسان في طنف ، فيغبط الرجلَ على نعمـة الشريكة ، ويُبدىء ويُعيد فيما تريق الأليفة لأليفها من العطف ، وتبذله من العون ، وتطعمه من الحنان ... ويسبح في خيالات ما لها قَرار ...

ويدعى « أمين » إلى حفلات الزواج ، فتهفو مناظرها بروحه إلى الزوجة ، وتصيب كلمات المأذون في فضل الزواج الوترَ الأرنَّ من قلبه ، وتطلق فيه عاطفة الأبوة الحبيسة ، وتزيده شعوراً بالوحشة ويسائل « أمين » نفسه : ألَـمْ يأن لى أن أقعد هذا المقعد

الحبيب: مقعد « عريس » من والد عروس، وأن أقول وأسمع هذه الصيغة العذبة: صيغة القران؟ أمات الأمل فى أن يتجه إلى يوماً جمع من هذه الجموع بتلك العبارة العذبة: « مبروك، مبروك، يا عريس » ؟

وينثني أمين وطرفه غارق فى الدمع

ويزور أمين صديقاً مريضاً فيغبطه — مع ما يشاهد من كربات المرض — أشد الغبطة، لأنه يرى زوجته تحدب عليه، وتحتمل مشقة تمريضه، ولأنه رأى صبياً يافعاً يقود الطبيب إلى المنزل، ويجرى إلى الصيدلية محزوناً، ويرى طفلاً مبغوم الكلام يخطر لاهياً أمام سرير أبيه المريض، فتأنس به نفس الأب وتُشرق هذه البسمات التى يراها فى ثغور الأطفال لا بد أنها تنير لآبائهم سبل الحياة وتكشف عنهم غواشى اليأس! ليت له مثلها فى دنياه التى لا شية فيها من النور!

ويرى أمين الآباء أشقياء مُملقين من كثرة الإنفاق على بنيهم، فيتمنى من كل قلبه لو شقى شقاءهم وأملق إملاقهم. إنه يؤمن بأن الآباء هم كل السعادة وهم كل الغنى، وأن فى كلمة « بابا » وحدها كنوزاً يهون فى سبيلها كل عزيز!

ويسائل نفسه أيضاً: هذا الكدّ الذى أبذل، ما جناه؟ فينثنى مسلوب اللبّ حين تجيبه: لا شئ! وغداً تموت، ولكن لا كبقية الناس، فهم يَحْيَوْن فى بنيهم، وأنت ستموت كأقسى وأوفى ما تعنى اللغة بلفظة الموت

بمن يتأسى فى أشجانه؟ الظاهرو البؤس فيما حوله هم كتبة الدرجة الثامنة والخارجون عن الهيئة وخدم المطعم ونُدُل القهوة، ولكنه أشقى من هؤلاء جميعاً. إنهم سيَحْيَوْن بعد مماتهم ... وإن الفرد منهم ليجد آخر اليوم قسيمة لحياته، يطرح لديها أثقاله. فأما هو — فياويح له — محروم يبثّ شكاته جدراناً لا تسمع، وينشد الحنان والألفة هنا وهناك فلا يجد غير قسوة الحياة وظمأ الروح وشقوة الضمير

ما أشد عوزه إلى يد رقيقة يمسها وتمسه!! فى صدر «أمين» فيوض من الحنان تريد الانسياب فليت له من يتلقاها! ألا قلوب تنبض مع قلبه نبضات واحدة بشعور واحد!؟

ويعالج « أمين » مع ذلك كله البسمات، ويتكلف جاهداً المظهر الشاب، ويحاول أن يدفع عنه الوهن، ولكن البسمات أماتها الزمان، والمظهر الشاب غطى عليه الجهد الثقيل والعمر اليائس؛ والوهن ... احتلّ بدنَ أمين فى غير اكتراث!

حدثنى عن « أمين » معارفه القدماء، فجلوا لى كثيراً من ماضيه. وكنت وإياه أخيراً منتدبين فى الأسكندرية، وكنا فى فندق واحد، فخلا إلىّ ذات مساء، وأفضى إلىّ بكل قصته. كان يتحدث بلهجة مذنب يريد أن يثأر لضميره من نفسه... وكان كطفل بيّن السذاجة لا يعمى على سامعه شيئاً من وصف مشاعره وسرائره؛ وكان يسرق الدمع حياء؛ وكانت له زفرات وجيعة.

وأخرج فجأة من جيبه صورتين، فأطلعنى عليهما. كانت إحداهما لفتاة رائعة الجمال، وكانت الأخرى لطفلين كلهما عذوبة. وسألته مستغرباً وأنا أرى من نظراته أنه جدّ حفىّ بأصحاب هاتين الصورتين: ما شأن هؤلاء؟ فأجاب، والبراءة فى وجهه: « اخترت صورهم من محل بيع الصور ... أعجبونى ... أنظر ... ما أحسن هذه زوجة تجمل بها الحياة! وما أحسن هذين ولدين ينضران العيش! »

أوجع أمين قلبى تلك الليلة!

وانقطع عن التردد علىّ وعلى زملائنا أمسيتين على غير عادة، وسألناه فى الصباح عن السبب، فأجاب فى اختصار: أمر خاص واستحينا أن نستجليه هذا الأمر فسكتنا

وأتى صبىٌّ إلى الفندق فى الأمسية التالية يسأل عن الأستاذ « أمين » المقيم بالحجرة رقم ٨، وكنا نحن زملاء أمين فى بهرة الفندق جالسين نسمر، فسألنا: لمَ؟ فقال: لأعطيه صورة عائلته فهو يتعجلها. وعجبنا، فأمين حقيقة ينزل فى الحجرة رقم ٨، ولكنه لا عائلة له. وسأل أحدنا الغلام: أية عائلة؟ ربما كنت تقصد أميناً آخر. فقال الغلام وهو يناوله الصورة: أريد الأستاذ أمين المرسوم هنا. وضحك صاحبنا ضحكات تمتزج فيها السخرية بالدهشة، وقام يطلعنا جميعاً على الصورة، والجمع يضج بالضحك. ونظرت فيها فوجدت أميناً بعينه، وقد جمع الرسام بينه وبين الصور التى سبق أن أبدى لى إعجابه بها: صورة الفتاة الرائعة الجمال التى يستحسنها زوجة، والطفلين المذين الذين يستحسنهما ولدين. لقد اتخذ من هذه الصور المختارة أسرة طيبة يبدو هو فيها كأنه أب آمن السرب، له من أهله قرب وأنس، وله فيهم رجاء!

وأقبل أمين والصورة فى أيدينا، فحاول الابتسام أولاً، ثم انطفأ وجهه مرة واحدة، ثم ارتمى فى أقرب مقعد يبكى وينشج.

(المنصورة) **لبيب السعيد**

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)